**المحاضرة الرابعة**

**عصر التنوير في أوربا**

يعرف **عصر التنوير** أيضًا باسم عصر العقل، وهو حركة فلسفية كان مهدها الأول في أوروبا ثم انتقلت في وقت لاحق إلى أمريكا الشمالية أثناء بين القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر.

وقد نتج عصر التنوير من حركة النهضة ونزعتها الإنسانية

يعد كتاب الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية -الذي ألفه نيوتن عام 1687- أول الأعمال التنويرية الرئيسية. نشر الفلاسفة والعلماء في تلك الحقبة أفكارهم على نطاق واسع عن طريق اللقاءات، ومن خلال الكتب المطبوعة والصحف والمنشورات.

أنهت أفكار عصر التنوير السلطة الملكية وسلطة الكنيسة، ومهّدت الطريق أمام الثورات السياسية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

اشتملت فلسفة التنوير على مجموعة من الأفكار التي تركز على سيادة العقل والاعتماد على الحواس بوصفها مصدرًا أساسيًا للمعرفة، وعلى المثل العليا كالحرية والرقي والتسامح والإخاء والحكومة الدستورية وفصل [الكنيسة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D9%86%D9%8A%D8%B3%D8%A9) عن الدولة. كما تميز التنوير بالتركيز على المنهج العلمي وعلى الاختزالية فضلًا عن التشكيك المتزايد بالعقائد الدينية التي كانت مفروضة من قبل الكنيسة.

وقد أجمل الفيلسوف الألماني كانط التنوير في الاستقلال بالتفكير والتقرير ونبذ وصاية الغير.

وقد مهدت فلسفة رينيه ديكارت القائمة على منهج الشك الطريق أمام أفكار عصر التنوير.ثم جاء جون لوك فنقح هذا المبدأ، ثم تلت ذلك كتابات دافيد هيوم التي صبت في نفس الاتجاه.

ويرى بعض الدارسين أن الفكر التنويري سار في خطين منفصلين: خط معتدل يمثله رينيه ديكارت وجن لوك وكريستيان وولف، حيث سعى هذا الخط للمواءمة بين الإصلاح والأنظمة التقليدية للسلطة والدين، والخط الثاني راديكالي تمثله فلسفة سبينوزا ، ويناصر الديمقراطية والحرية الفردية وحرية التعبير وتقويض السلطة الدينية.

في منتصف القرن الثامن عشر، أصبحت باريس مركز النشاط الفلسفي والعلمي الذي يتحدى العقائد التقليدية. وقاد تلك الحركة الفلسفية فولتير وجون جاك روسو ، اللذان دعوا إلى مجتمع يقوم على العقل ونظام مدني جديد يقوم على القانون، وعلم يقوم على التجربة والملاحظة.

وقدم الفيلسوف السياسي الفرنسي  مونتيسكيو فكرة فصل السلطات في الحكومة، وهو مفهوم تبناه كُتّاب دستور الولايات المتحدة الأمريكية . رغم أن فلاسفة التنوير الفرنسي لم يكونوا ثوريين وكانوا من طبقة النبلاء،

وقد كان لآراء الفلاسفة الفرنسيين أثر كبير في تقويض شرعية النظام القديم وقيام الثورة الفرنسية.

حاول  كانط (1724-1804) التوفيق بين العقلانية والإيمان الديني، وبين الحرية الفردية والسلطة السياسية، وقد صاغ عمل كانط الفكر الألماني ومجمل الفلسفة الأوروبية حتى القرن العشرين .

**العلم والمنهج العلمي:**

واكبت العلوم والمكتشفات الفكر التنويري في أوربا. وكانت سلطة الكنيسة والملوك تضعف باستمرار مع توالي المخترعات، ورافق ذلك دعوة فلاسفة التنوير لتطوير حرية التعبير والفكر.

ومن أهم مكتشفات عصر التنوير: اكتشاف ثاني أوكسيد الكربون من قبل الكيميائي جوزيف بلاك، واختراع محرك البخار  بواسطة جيمس واط، واستخدمت تجارب لافوازييه لإنشاء أول المصانع الكيميائية الحديثة في باريس.

وقد احتفى العلم التنويري بشكل كبير بالمنهج التجريبي والفكر العقلاني وكان جزءًا لا يتجزأ من نموذج التنوير للتقدم والارتقاء. وبعد عام 1700، أسِس عدد هائل من الأكاديميات والجمعيات الرسمية في أوروبا، وبحلول عام 1789 كان هناك أكثر من سبعين جمعية علمية رسمية. ولذلك سمى بعضهم هذا العصر بعصر الأكاديميات في أوربا.

**التنوير ومسألة العقل:**

ألح التنويريون على العقل وأنه سبيل الإنسان إلى الاستقلال بالتفكير والخروج من الوصاية بأنواعها. وقد رأى التنويرون أنه ينبغي حماية الإنسان وتعليمه ان يصبح ناضج وقادر على الاعتماد على نفسه، وأن يستخدم عقله للتحرر من المعتقدات الغريزية في الحقائق المعطاة، سواء تلك الفطرية التي تشكلت في ميدان المعرفة، أو تلك تبناها رجال الدين. .والعقل كما تصوروا قادر على معالجة جميع القضايا التي تهم الإنسان.

وقد ذهب جان جاك روسو إلى أن مهمة التنويرين المثقفين، الذين يطلقون على أنفسهم فلاسفة يجب أن تكون التشجيع على إعمال العقل، هذه هي مسؤولية المفكر أمام المجتمع الذي يعيش فيه؛ وهي مهمة تربوية للتحرر من من طغيان النظام الملكي المطلق. وطغيان النظام الكنسي، وهو ما سماه روسو (الظلامية الدينية)، هذا البرنامج التعليمي حسب روسو سوف يعني إعادة الإنسان إلى حالته الأولية الطبيعية عن طريق تحويل الخير العفوي للحالة الطبيعية إلى حالة من الوعي العقلاني . فهو يقول: "كل شئ جيد عندما يغادر يد خالق الأشياء؛ ولكنه ينحط في يد الإنسان."

إن العقل عند التنويريين لا ينبغي أن يقف عند حدود التأمل، بل يجب أن يكون وظيفيا، تتحدد صلاحيته بالنتائج العملية التي يحققها، والعقلانية صالحة إذا كانت قادرة على شرح وترتيب الأحداث استناداً إلى قوانين النظام العقلاني. وهذا من منطلق أن كل إنسان وهب قدرة غريزية على الفهم، مما يجعله مساوياً لجميع الآخرين بشرط أن يتم تحريره من فساد الخرافات والجهل.

الإنسان، المتحرر من إكراهات الخرافة والجهل والاستبداد، يستخدم عقله بشكل صحيح وتلقائي، ويظهر هذا الأمر في ما سمي "الهمجي النبيل"

**و**تقوم فكرة (الهمجي النبيل ) على الاعتقاد بأن الإنسان كان أصله حيوان طيب ومسالم، ولكن فسد بمرور الوقت بسبب المجتمع والتقدم. ويجسد مفهوم الهمجي النبيل الاعتقاد بأن البشر خيرون أساسا، (مذهب خيرية البشرية)، وتغذت أسطورة الهمجي النبيل من البعثات التبشيرية اليسوعية التي بدأت في القرن السابع عشر في أمريكا الجنوبية ، وتمثلت في إنشاء مراكز تبشيرية لتبشير الشعوب الأصلية بهدف خلق مجتمع بالسمات الخيرية للمجتمع المسيحي الأوروبي تخلو من الرذائل والجوانب السلبية. وكان الهنود هم الأكثر ملاءمة لهذا المشروع، حيث تتقبل طبيعتهم التعاليم اليسوعية. فهم يجسدون الخيرية الأولية للإنسان البدائي لا سيما مع ميولهم الفنية للطبيعة وللموسيقى خاصة.

في عصر التنوير عمل روسو على نشر فكرة الهمجي النبيل، مؤكدا في  العقد الاجتماعي أن الإنسان ولد حرا ولكنه قيد بعد ذلك بالقيود.

**الثورات:**

كان من أخطر نتائج عصر التنوير في أوربا ما أعقبه من ثورات اجتماعية وسياسية تمخضت عن مفهوم الدولة الحديثة بجهازها البيروقراطي وجيشها الخاص، وسيادة العقلنة في تنظيم شؤون الدولة والمجتمع، وأصبحت السلطات الحاكمة في الدول الحديثة تستمد سلطتها من التمثيل الشعبي لا من الصفة الدينية التي كان يدعيها رجال الكنيسة قبل ذلك.

وقد قامت الثورة الفرنسية ثم الثورة الأمريكية في هذا السياق، وقد ولد مفهوم الرأسمالية إثر هذه التحوّلات التي كانت سببا في ظهور الاشتراكية بعد ذلك.

وكان من أهم أعلام عصر التنوير فولتير وجان جاك روسو ودافيد هيوم، وختم الفيلسوف الألماني كانط هذه المرحلة بفلسفته التي حاولت أن تجيب على أسئلة العقل والأخلاق وترافع من أجل العلمانية على المستوى الفكري والفلسفي. وكان للثورة العلمية التي سبقت عصر التنوير تأثير كبير على فلاسفته ومفكريه، ومن بين أهم أعلام عصر التنوير في أوربا: سبينوزا وكانط وديدرو ودافيد هيوم وجان جاك روسو وآدم سميث. وقد حاول بعض الحكام الأوروبيين تطبيق أفكار التنوير على التسامح الديني والسياسي في ما أصبح يعرف باسم الحكم المطلق المستنير. وربطت بعض الشخصيات السياسية والفكرية البارزة في الثورة الأمريكية نفسها بشكل وثيق مع التنوير، كبنيامين فرانكلين، وتوماس جيفرسون، وجيمس ماديسون الذي ضمّن الدستور الأمريكي كثيرا من الأفكار المثل الذي تبلورت في عصر التنوير.